

استعمار الهند

معرفة عن اللجنة الزرقاء الفرنسية

أحدث ما يقوم به الهنود في العهد الأخير م مقاومة حكومتهم قلقاً وهدماً وذلك أن الثورة اضطرب لها أعصاب إمبراطورية الهند والقوم هناك يدعون إلى الاستقلال جهاراً حامنين العنم الأحرر ويقوم الدعاة من كل مكان يوقدون جذوة التعصب والتحزب ولا يستكفون من إتيان كل منكر من قتل النفوس وإهراق الدماء.

قويت هذه الحركة وامتدت دون أن يعوقها عائق لأنه لم يهتم بها أحد في مبدأها لغرابة أمرها ولأنها ظهرت غير متسابة مع حال العقول في الهند. ولئن كان جمهور موظفي الحكومة الإنكليزية هناك على جانب من طهارة الوجدان والعنم والتهذيب والتجارب إلا أنهم لم يحسبوا لهذه الحركة حساباً ووهموا في نتائجها وفلتهم على ما عرفوا به من الذكاء إن ما دعا إلى ذلك غنطات لهم ارتكبوها فنشأ عنها ما نشأ. وللوقوف على الصلات المتبادلة بين الحكام الانكليز والحكوميين الوطنيين من الهنود يجب أن نبين الأسس التي قامت عليها الإدارة البريطانية في شبه جزيرة الهند فنقول:

إن الهند أوسع من أوروبا فمساحتها ٤. ٨٩٤. ٠٠٠ كيلو متر مربع وسكانها ٢٦٦ مليوناً وأهلها خيط من الناس ما كانوا ولن يكونوا أمة برأسها. قال الفرد ليل: كل من أراد أن يحكم على امرئ بالحكومة التي تحكمه والبلاد التي يترها لا يكون حكمه إلا ناقصاً إذ يجهل بذلك طبيعة الحكومة التي تحكمه لا يفيد شيئاً في معرفته نفسه لأن الحكومة نتيجة أحوال عارضة وتدبير موقف اد.

لما استولى الانكليز على الهند عقيب أن دالت دولة المغول ورفع عن بعض ارجائها علم الفرنسيين لم يجدوا أمامهم حكومة وطنية في البلاد ولا جماعة اجتمعوا لتدبير شؤونهم تربطهم المصلحة المشتركة بما بل رأوا هنا وهناك عصابات غير طبيعية نشأت بالاتفاق بطبيعة الفتح وظلت بطبيعة الحال عبارة عن مجتمعات منفصلة العرى تجمع تحت لوائها ملايين من الناس في أماكن متباينة وكان لهذه الأنواع بحسب مكائنها زعماء يقودونها اسموا أنفسهم أمراء وراجات ونواباً وسلاطين وامبراطرة ولم تتغير هذه الصورة من الحكومة منذ الأعصر التي استولى فيها الفرس والمقدونيون والبارثيون والتار والمغول وغيرهم على تلك القارة.

ومع ما نراه من حال ذاك الشعب المهزء المنتشر الأطراف الخالي من كل جماعة قد انشأ له مدينة باهرة دامت قروناً تدير العالم بدائعها وظلت إلى يوم الناس هذا لم تمسها يد بسوء. فارتبط الهنود من الشمال إلى الجنوب من جبال حملايا إلى رأس كومور برباط واحد وعملوا بقلب واحد وتبعوا بروح واحدة تدفعها الثبات الذي لا يوصف والغاية المشتركة التي وجهوا كلهم وجهتهم إليها وذلك أنهم لم يرموا إلى غرض سياسي ولا إلى غرض اقتصادي بل لأن الخنوع الذي ألفوه ورتبوا درجاته لم تكن غايته زمنية دنيوية بل كانت دينية فاستقام الأمر للمستعمرين لأن القوم لا تفهم السياسة ولأن النواب والراجات المغنوبين على أمرهم ليست لهم أصول راسخة في البلاد ولا منزلة في قلوب الأمة فكان الذين هو الذي يحرض القوم على بقاته والانكليز أحرض الناس على احترامه ولا سيما بين طبقات البراهمة التي كان لها تأثير شديد في العامة.

أدرك الانكليز في الحال صراحة بأنهم في حلٍّ من أن يؤسسوا في الهند الحكومة التي ترونها من حيث الإدارة والنظام السياسي والتشريعي على أن لا يمسوا المعتقدات ولا رجال الدين بسوء فانشأوا حكومة جديدة سموها حكومة الاستقلال ولم يراعوا في تأسيس هذه الحكومة أصول الشعوب إذا كان هنا البنغاليون الجياع وهناك الباهراتيون الشجعان وفي مكان أبعد مكان ميزور وفي المقاطعات الأخرى السيخون النشطون فتجد الفلسفة العالية والتصوف الباطني إلى جنب الخرافات المستحكة والتعصب الشديد بل راعوا اختلاف طبائع الأقاليم من حيث وضعها الطبيعي عملاً بما قاله أحد رجالهم من أن الاختلاف في أصقاع الهند أشد مما تراه في ظاهرها أرضنا وسياراتنا من المشاهد. ولم ير المستعمرون من مصلحتهم أن يؤلفوا وطنية هندية فيكون لسكان بنجاب وبنغل وبنية خاصة بل عزموا على توسيع الاختصاص وتقسيم البلاد في إدارتها على خلاف ما جرت عليه فرنسا في ربط البلاد كلها بالعاصمة مباشرة لأنها ترمي إلى تجنيس أهل البلاد المستعمرة بالجنسية الفرنسية. وبعد تجارب طويلة تمت لانجلترا سنة ١٨٦١ صورة الهند وكانت هذه الصورة معدلة منظوراً فيها وهي الصورة التي جرت عليها شركة الهند الشرقية سنة ١٧٧٣ واستصدرت بها قانوناً من مجلس النواب فقسمت الهند أولاً إلى ثلاث ولايات بنغال ومدراس وبومباي دعوها رئاسات لأن إدارتها كانت بيد مجلس ينشر القوانين وينفذ القرارات وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر وهو دور الحروب والمنازعات الهائلة رأت انجلترا من الضرورة أن توحد الإدارة السياسية مع الإدارة الحربية لتقوية كل منها فعهدت سنة ١٧٧٣ بولاية الهند لحاكم بنغال بحيث يكون له التقدم على حاكمي مدراس وبومباي ولكن ولايته اسمية لا فعلية فأخذت الولايات

الثلاث تضع الوقت في الأخذ والرد والإدارة محتثة الأساليب لا ترجع إلى يد تضم شملها حتى إذا كانت ثورة السياب سنة ١٨٥٧ وهي التي كادت تخرج انكثرا من الهند وضعت الحكومة صورة إدارة كانت أساساً للإمبراطورية الهندية وهو عمل إداري لم توفق إليه أمة ولم يخطر في خاطر حاكم.

فقسمت أراضي الهند إلى طبقتين جوهريتين أراضي السلطنة البريطانية أي البلاد التي تحكمها انكثرا مباشرة وهي عبارة عن ولايتي مدراس وبومباي التين بقيتا على ما كانتا عليه في حدودهما وولاية بنغال وقاعدتها كنكوتا جعلت عاصمة المنكة وقسمت إلى ثماني مقاطعات لها حق الانتخاب. والطبقة الثانية إمارات الوطنين التي تركت تحت سلطة الراجات الاسمية أو الفعلية فقسمت إلى قسمين في وضع الحماية الانكليزية عليها وبذلك صار الحكم للنوابي العام والرئاسات وحكومات الولايات والإمارات الوطنية.

ولحاكم الهند أو نائب منكمها مجلس مؤلف من ستة وزراء لهم معاونون وفي بعض الأحيان ولا سيما عند سن القوانين يضطر إلى أخذ آراء المجلس وله الحرية أن يعمل بها أو يرفضها وهؤلاء الوزراء يشبهون من وجوه كثيرة وزراء لويس الرابع عشر لا وزراء ادوارد السابع وهم وزير الداخلية والخارجية والمالية والمعارف والتجارة والحرية والعدلية والأشغال العمومية وبحق لواليي مدراس وبومباي أن يحضروا في المجلس عضوين فوق العادة وهذا المجلس الوزاري يجتمع في المكان الذي يستني الحاكم العام فحشا التأم فهناك العاصمة. ويضاف إلى هذا المجلس بعض الأعضاء فيصبح برلماناً أي مجلس نواب فيكون نصف هؤلاء الأعضاء الإضافيين من الأعيان أوربيين كانوا أو وطنيين على أن لا يكونوا من موظفي الحكومة يعينهم الحاكم العام فبذلك يصبح العنصر الرسمي في هذا المجلس

أكثر من العنصر الأهمي وهذا العنصر قليل العدد ولذلك لا حكم له ومعاونته في الأغلب.

أما المجلس التشريعي فله سلطة واسعة لا يقف أمامها إلا امتيازات البرلمان البريطاني وحقوق السلطنة الانكليزية وتفقد قراراته عند ما يصدق عليها حاكم الهند. وهذه الطريقة التي تسهل إحالة السلطة الإجرائية إلى السلطة التشريعية تحل مسألة تقسيم الإدارة على ليسروجه في حين تمنحها وحدة الآراء والأميال.

وفي مجلس النواب كما في مجلس الوزراء يعمل كل عضو بما فيه المنفعة العامة وينظر في المسائل التي يحسن معرفتها بخلاف غرض ويعطي رأيه حراً وللموظفين ضمانات لا تضر بالنظام ولكنها تقي أشخاصهم كل الوقاية.

وبعد فإن الحكومة العامة تنظر خاصة في المسائل المنكية كالديون العمومية والكمبارك والرسوم الأميرية والمقايسات والبريد والبرق ونفقات الحربية والأديان وقانون الجزاء والباتنتا والعلائق الخارجية والحقوق الأدبية وغيرها فتوجه دفة السياسة إلى الوجهة التي تختارها وتوحد بين المصالح العامة والخدم العامة فهي المنظمة والمديرة وحافظة العهد الدستوري أما ولاية الأقاليم فنكل منهم مجلس خاص ومجلس تشريعي لا تسري أحكامه على أحكام الحاكم العام كنان هذا لا يتعدى على امتيازات الإمبراطورية وما عدا ذلك فالحكومة مالكة حريتها برمتها ولها مطلق التصرف أن تقر ما تشاء. ويخاطب واليا مدارس وبومباي لندرا مباشرة ويناولان التعليمات بأنفسهما أما سائر الولايات فإدارتها ترجع إلى ولاية وبعضها إلى متصرفين يعينهم الحاكم العام ويتناولون رواتبهم من الإمبراطور ويختارهم من الموظفين الذين قضوا عشر سنين في الهند على الأقل وهم

يخاطرون كنيكوتا في شؤونهم ولكن في الأمور الإدارية ولهم سلطة كسلطة والي مدراس وبومباي ولهم الميزة عليهم بأنهم أكثر خبرة ونفوذاً.

أما الجيش فيؤلف من جيش عاملين الأوربيين والهنود ويقدر بمائتين وسبعين ألفاً منهم ثلاثة وسبعون ألفاً من الانكليز ومن جيش مساعد تقدمه الإمارات الوطنية المستقلة عدده ٣٨٠ ألفاً ولكن على الورق فقط وعنده أربعة آلاف مدفع وإذا استني من الجيش العسكر الانكليزي وبعض الالايات كالسيخين والباتام والغوركا فالجيش الهندي لا يساوي شيئاً. وإذا استني من الجيش المساعد فيلق مئكة الكواليور لا يساوي شيئاً أيضاً. قال أحد كبارهم أن هذا الجيش عبارة عن خنيط من الأوباش لا عظم له بالتدريب الحربي وليس لديه سلاح منظم وإن الالايين أو ثلاثة من جيشنا مع بطارية خيالة تمزق شمل خمسين ألفاً من مثل هؤلاء الغاربين فمجوع هذا الجيش العامل وقدره مئبئة ألف مع الجيش الاحتياطي هو عبارة عن تضليل يزول كالسراب أو كالدخان عند مداهمة الخطر. وتقسم كل ولاية وارداها مع الولايات العامة على نسبة محددة وتقوم بتفقات القضاء والمعارف والأشغال العمومية وإعانة البائسين ولكل ولاية الحق في أن تستلف نفوداً على واردات خمس سنن تصرفها في الطرق التي تراها نافعة لعمران ولايتها وتقتصد ما تشاء وفي الهند أربع محاكم عالية في بومباي وبنغال والشمال الغربي ومدارس تميز إليها أهم الدعاوي المدنية والجزائية وينتخب أعضاؤها من قبل السلطنة الانكليزية ويقبض كل عضو من مئة إلى مائتي ألف فرنك راتباً سنوياً وفي كل حاضرة ولاية محكمة استئناف ومحكمة جزاء نقالة ثم محاكم المقاطعات ويعملون تارة إلى استعمال قانون لندرا وإذا وقع

اختلاف بين أوروبيين من رعايا انجلترا يطبقون عليهم القانون الهندي وأحياناً قانون الجزاء الانكليزي الهندي.

ومأمورو الإدارة الملكية عبارة عن ٧٦٥ موظفاً فيكون بذلك موظف واحد لكل ربع مليون ساكن وتحت أيديهم صغار الموظفين من الوطنيين. ومن مبدأ انجلترا في الهند أن تبقي جميع الوظائف الكبرى في أيدي الأوروبيين وتعطي جزءاً مهماً منها للوطنيين ولا ترى الحكومة أن تقبل أحداً من رعاياها الهنود وتجنّبهم انكليزاً في جنسيتهم وهم يهزأون من فرنسا التي جنست رعاياها في بوندشيري بجنسيتها وأعطتهم حق الانتخاب لإرسال نواب واعيان.

أما الإمارات الهندية المستقلة فهي منقسمة إلى طبقتين ثقل في الأولى السطة الانكليزية عليها ومنا الإمارات الإسلامية التي تركت وشأنها لأن ذلك اقصد في النفقة عليها ولكن حالتها إلى الزوال لأدنى إشارة تصدر من الحاكم العام ثم أن أمراء تلك الإمارة الإسلامية هم غرباء ويدينون بدين يكرهه السواد الأعظم من رعاياهم فهكذا تجد في مملكة النظام مملكة حيدر آباد الدكن. تسعة ملايين من البراهمة لقاء مليون من المسلمين وفي سائر الممالك المستقلة خمسون مليون برهمي أما ممالك كوالبور واندور وبارودا فليس لها من المهرانية إلا الاسم لأن أمراءها هم دخلاء عليها. أما ممالك الطبقة الثانية من الوطنيين فتختلف عن هذه كثيراً ومن الممالك ميزور وراجوتانا وترافانكور وجيور وجوهور ومنوكها هم من البراهمة ولئن ترى الحكومة من الحكمة أن تضيق خناقهم وهي لا تخافهم ولكنها لا تركن إليهم إلا قليلاً قال جايكس ستيفن:

إن الانكليز في الهند هم نواب تمدن محارب وسلام تدعمه القوة وما من بلاد نظمت شؤونها وحالفتها الدعة والراحة مثل الهند البريطانية ومتى خفت شدة الحكومة يكر نظام الهند كأنه مأخوذ بسيل جارف اه. وتنقسم درجات التعليم في الهند إلى ابتدائي ووسط وعال وهو النقطة الضعيفة من ذاك البناء الانكليزي الهندي البديع.

إن من يسكنون البلاد الواقعة بين نهر الاندوس وشاطئ كورومانديل ويطلقون عليهم اسم الهنود يجب أن يجعلوا م الشعوب التي تشتمل من الغريب وتعاديه شأن كل الشعوب التي لها تاريخ قديم وفلسفة معروفة وتمدن خاص بها وهذا يصدق على الأكثرية من البراهمة كما يصدق على الأقلية من المسلمين فالبراهمة يرون من واجبا لهم أن لا يحيدوا قيد شبر عن تعليم أولادهم الصنعة التي يعلمها آباؤهم بالإرث وتلقيهم الفروض الاجتماعية والعالمية والدينية التي تصدر عن زعمائهم وإن جزءاً من هذا الشعور ليتعلمه الطفل بالفطرة والتقليد وباقيه يحصله في مدرسة قريته أو يأخذه عن رئيسه الديني مع ما يأخذ من آداب أمته ودينها فيملأ ذهنه بالتراكيب المبهمة والصلوات ولا سيما صلاة الغداة ومعناها: لنعبد النور السامي من هذه الشمس ربة كل وجود في الوجود التي تقود فكرنا كما تقود عين معلقة بقية السماوات.

أما التعنيم الحديث فإن رب الأسرة يدفعه عن أسرته مشتمراً بقدر ما كان يشتمر لآوكون من هدايا اليونان ويرفضها ولذلك يعز على البراهمة أن يخونوا مبادئهم المقدسة وأكثر ما يحذرونه من الأمور التي يحملها إليهم الغرب المدرسة فإن شيئاً خفياً في فطرتهم يدعوهم في السر: إياكم والمدرسة الانكليزية فهي عدوتكم.

وعلى هذا حارت انكلترا في سياسة التعليم التي تجري عليها بين البراهمة لأنها لا تستطيع أن تعلمهم التعليم الأوروبي إلا إذا أضرت بمعتقداتهم الدينية ومعتقدهم هو وطنيتهم وهي لا تريد أن يخرجوا عنها حتى إن انكلترا اضطرت سنة ١٨٤٠ أن تجيب مطالب ثلثائة ألف رجل اجتمعوا في سهل بنارس يقيمون الحجة على الرسوم التي تريد وضعها على البيوت وعزموا أن يهلكوا جوعاً أو تجيهم الحكومة إلى إلغاء هذه الرسوم فأجابتهم مكرهة مخافة أن يحدث وباء فإذا عادت روح الاعتصاب وسرت في أعصاب مائتي مليون رجل لمقاومة سياسة التعليم ماذا تعمل بريطانيا؟

ولم تر انكلترا اسلم لها من تلقين الهنود مبادئها بالتدريج على أن تعلمهم ما تعلمه أبناءها في عاصمة الجزائر البريطانية وتشربهم حب الانكليزية على شرط أن لا يحدوا عن جادة الإخلاص لها ولا يسيئوا استعمال المفتاح الذي تسلمهم إياه ويستخدمونه لفتح الباب في إيذائها والمسألة لا تخلو من إشكال أيضاً فيما يتعلق بأهل الطبقة العالية من المسلمين فقد جاء في أحد التقارير عن الهند ما نصه: إنا إذا صرفنا النظر عن الأسباب الاجتماعية والتاريخية في الشعب الإسلامي في الهند نرى لاخطأطهم أسباباً ذات شأن لها علاقة بتربيتهم التي تؤثر في حياتهم فتعليم الجامع يجب عندهم أن يكون سابقاً لدروس المدرسة ولا يتيسر أخذ الطفل من المسلمين إلا بعد أن يقضي بضع سنين في مدرسة يتعلم فيها اللغة العربية والفقه الإسلامي ولكن تعليم المدرسة الدينية يقوده إلى أن يختار الخدم الدينية مؤثراً لها على أرباح المسالك والأعمال. وقد أيدت التجارب هذه الملاحظة إذ حدث أن حب الوظائف العامة قد أثر قليلاً في المسلمين في الهند وظلوا يقاومون التعليم الانكليزي كل المقاومة وحسن طالعهم لم تعن الحكومة الانكليزية بأن تجعل المسلمين

أوربيين كما حرصت على جعل الهنود كذلك ورأت انكثرا أن تنقذ الطبقة العالية من الهنود من الأوهام القديمة لتستخدم منهم أناساً في الإدارة والقضاء والمالية وقد رأى اللورد ماكولي سنة ١٨٣٥ على ما فيه من العقل الذي أثر تأثيراً سيئاً في الهند أن من الواجب تعليم اللغة الانكليزية في مدرسة شبان الهنود من أرباب الطبقات المختلفة لترشيح الانكليزية من الأعلى إلى الأدنى وكان يقصد من ذلك أن يأخذ ما يلزم للبلاد من الموظفين من أهل البلاد أنفسهم.

وفي سنة ١٨٥٤ أنشأت انكثرا ديوان المعارف العمومية فعنيت بإدخال اللغة (الانكليزية) إلى مدارس بنغال وبنارس ونظمت مدارس الوطنيين مع محافظتها لها على صفاتها الخاصة وفي سنة ١٨٥٧ أثمرت البذرة التي وضعها لورد ماكولي في تربة الهند فأسست ثلاث كليات في كلكتا وبومباي ومدارس على مثال الكليات الانكليزية فيها أنواع الراحة والرفاهية وتدرس فيها الدروس التقليدية وأنشئت في حاضرة كل مقاطعة مدرسة عالية وفي المدن الصغرى مدارس وسطى ثم أنشئت كليات لاهور لإقليم بنجاب والله آباد لإقليم الشمال الغربي وساغ للتخرجين من تلك الكليات أن يتدرجوا في المراتب مثل من تخرجوا من كليتي أكسفورد وكمبريدج.

فتخرج من تلك الكليات أناس من أرباب الذوق والأدباء والمشرعون وقل في المتخرجين العلماء إذ لاحظ السير هنري مين أن عقل الهندي المستعد لقبول ما حلا وطاب من المعارف هو محروم مما يتصور من قياس مدقق الحقيقة فالهندي يجيد التكلم والكتابة والتفكير الدقيق ولكنه متوسط الاستعداد للحساب والأرقام وأصبحت الحكومة تبعث إلى لندن بأرقى طبقة من متخرجي كليات الهند ليكونوا نموذجاً على اشتغالها وراموزاً لمن

طبعهم بطابعها فكانت تكرم وفادتهم في لندرا ولم تعقهم ألوانهم السمراء وتناسب
أعضائهم وغيوهم التي تقدر شرراً وقاماتهم القصيرة وحركاتهم المتناسقة وأمزجتهم
الشديدة عن أن يستميلوا قلوب الناس إليهم ونالوا من الكرم البريطاني أنواع الرعاية
والعناية وفتح الانكليز لهم أبواب دورهم الأنيقة الشريفة كأن كل فرد منهم كان أميراً
خطيراً وراجاً كبيراً فأخذوا بما شاهدوا وتكلموا على أجل أسلوب وعاشوا عيش
الوطنين الانكليز وقدروا حق قدره كل ما في الوطنية من الاحترام والأمن والشرف
والاستقلال العالمي.

فكانوا يتعاشرون ويتسامرون ويتعارفون في المجالس إلى من يخطبهن من النساء الفئات
الشعر البيض ويلعبون معهن أنواع الألعاب المألوفة والرياضات الانكليزية النافعة وكانوا
في جميع أحوالهم مثال الظرف في ألبستهم والترتيب في قبعاتهم حتى إذا أقموا دور التبرين
التي كان كل يوم منها ابتسامة للمستقبل وتشبعوا بمواء الغرب وتبطنوا أسرار فلسفة
هربرت سبنسر وشوبنهاور ونيتش وحفقت أفئدتهم بما علمت وتلبس شعورهم بالبدائع
وحشيت عقولهم بخطب مجلس النواب الانكليزي - يركبون البحر عائدين إلى بلادهم
بلاد الشمس والحرية يحملون أجل ذكرى مما رأوه وفي صناديقهم وأصونتهم الأوراق
المطوية والزهرات الذابلة وقطع من الشريط وبعض الفسطين يؤبون والكبر أخذ منهم
ويعود محيطهم البرهي يتحيفهم ويرجعون إلى سابق أوهامهم وأحقادهم على الإدارة
الانكليزية التي لم تؤثر فيها كثرة تغذيتهم بمبادئ أصحابها.

ولقد شادت اللغة الانكليزية بين أمراء الهند حتى صارت لهم بمثابة لغة الاسيراتو في
الغرب يتكلم بها الهنود وهم أجناس مختلفة وأصحاب طبقات متباينة فالمتكلمون باللغة

السكريتية والبراكريتية والبالية والتينكا والبنغالية والهندستانية والمالاكالية والتامولية وغيرها من طبجات الهند يحسنون الانكليزية كأهلها وهذا ما حدا انكثرا أن تضاعف مدارسها وكتائبها وكتلياتها ثم رأت من الحكمة أن تعتمد على العصر الإسلامي فأعطت له مكانته وأقلت من مكانة العصر البرهمني فزاد ذلك البراهمة نفوراً وأخذوا ينادون في سرهم وجهرهم (الهند للهنديين) وأرادوا محاربة الانكليز حرباً اقتصادية فلم يكن من أبناء جنسهم أناس يكفون لنظفر في هذه المعارك فلم يسعهم إلا أن ينجؤا للأجانب فكان الألمان وهم الشعب الذي يحاول أن يخنف الانكليز في كل مكان هم الذين مدوا أيديهم للهنود وأصبح ما تخرجه هندهم من بالات القطن وصناديق الشاي وأكياس القهوة يسافر إلى ميناء همبورغ بدل مشر.

ثم حدثت مشاغبات وفقن وقتل رجال الثورة بعض أعضاء الحكومة فلم يسع انكثرا إلا أن تعطي الهند نظاماً جديداً مصوغاً بالصيغة الديمقراطية أكثر من ذي قبل وأشركت الهنود في سياسة بلادهم واستعملت انكثرا الرفق فيمن دعوا إلى الثورة من رجال الصحافة والخطابة وكان من تقرّبها من روسيا وتحالفها مع اليابان أكبر مفتر لهم الهنود عن نزاع أيديهم من يد حكومتهم أما المسلمون الذين رأت بريطانيا بعد حين أن تعتمد عليهم فقد تحركت نفوسهم وأدركوا قصورهم خصوصاً عندما رأوا إخوانهم شيان العثمانيين الأحرار الذين حرروا المملكة العثمانية من السطة الاستبدادية كل هذا ليصدق على سكان الهند ما قاله أحد المفكرين من رجال السياسة الانكليزية (سيقى الشعب الهندي على الدوام شاهداً ناطقاً بالماضي غير ممسوس بيد الغرب إلا مساً خفيفاً) ومحاولة تجديد شبابه هو من الغلط وقلة الخبرة.

الألبان

امتثلت الجرائد في هذه الأيام باسم هذا القوم اختارب ويجدر بنا أن نذكر شيئاً من تاريخه ولو مختصراً لنعرف ما كان عليه في الأيام الخالية وما صار إليه الآن. وقد اتخذت قاموس الأعلام، لشمس الدين سامي بك إماماً وكتاب التاريخ لمؤلفه دوروي معاوناً.

إن اسم هذا القوم فيما بينهم (اربانيا) في قبيلة كيه و) اربريا) في قبيلة طوسقه لأن هذه كثيراً ما تبدل النون راء وكلاهما مشتق من اللغة الآرية القديمة من كلمة (آر) الحقل و (بان) من يعمل فيه أو يحرثه أو يزرعه فكأنه قيل لهذا القوم (الحارث) أو (الزارع) لأنه هو أول من أدخل هذه الصنعة من آسيا إلى أوروبا ولما كان اليونانيون يدلون الباء بالواو لفقدان الأولى عندهم دعوا هذا القوم (اروانيتيس) بزيادة (يشيس) وهي أداة النسبة عندهم أي منسوب إلى أربان (ظناً منهم أن أربان اسم للأرض التي يسكنوها) والسين زائدة تظهر في أكثر كلماتهم لثة الرفع وتسقط في حالة النصب والجر وفي الثنية والجمع ولما دخنت الأتراك إلى تلك البلاد أخذوا الأهم اليوناني فدعوههم ارناوويت بحذف السين الزائدة وتقديم النون على الواو تحريفاً (كما حرفنا نحن كلمة عربون وقدمنا الراء فقنا رعبون) وثقل أول الكلمة اقتضى أن يكون آخرها كذلك فبدلت التاء طاءً وكسرت الواو ضمة لغير سبب فصارت ارناؤط وأوربا اليوم تدعوهم (الباني) بتبديل الراء لاما وهما قريباً المخرج وكثيراً ما يتبادلان وفي العربية البرت والبت بمعنى واحد وهو القطع.

تبين لدى علماء الألسنة المحققين أن لسان الألبان يشابه اليوناني القديم واللاتيني والصقلي والغوطي والفارسي والسكريتي وإن هذا اللسان من أقدم شعب اللسان

الآري. ومن يقدر أن يحكم أن الكلمات المشتركة بين هذا اللسان وبين اليوناني القديم هي يونانية أخذها الألبان أو البانية أخذها اليونان؟

لا يقدر غنى ذلك إلا العالم بكنتا النغتين المتوغل فيهما. وقد ادعى شمس الدين سامي بك بأن كثيراً من الكلمات تدل صورتها الألبانية عنى أنها أصل وصورتها اليونانية أو اللاتينية عنى أنها فرع. (كنا نعمن نحن العرب مثلاً أن يئس وجذب أصل وأن ايس وجذب فرع) ومن هنا يتبين أن هذا اللسان أقدم من اليوناني واللاتيني ثم إن مشاهدته للسان الفارسي والزند والسكربتى أكثر من غيره من الألسنة الآرية الأوربية تدل على أنه لم يتشعب من هذه الألسنة التي هي شعبة من غيرها بل أنه جاء رأساً من آسيا الوسطى إبان الهجرة العمومية.

وقد انتخب هذا القوم لنفسه شرق أوربا وطناً له كما أن انسابه السلتييت اختاروا غرب أوربا. ثم تفرق فرقاً فمنهم من أقام في اينيروا وهي بلاد الألبان الآن وبوسنه وهرسك ودالماسيا ومنهم من سكن في مكلونيا القديمة وهي عبارة عن سيروز وولاية سلانيك ومناستر واسكوب ومنهم من انتشر في ثراكيا وهي اليوم ولاية أدرنة وقسم من بلغاريا ومنهم من بقي في آسيا ولم يدخل أوربا وهم الفرنجيون وكنهم من سواحل الأناضول في البحر الأبيض إلى سيواس وانقرة.

وقد ثبت بالأدلة التاريخية أن هذه الفرق الأربع من أصل واحد إلا أن أهل ايليريا أقرب إلى أهل مكلونيا وأهل ثراكيا أقرب إلى أهل فريجيا لغة وخلقا. وكان يجمعهم اسم (بلاسج أو بلاسغ) في قديم الزمان ويظن بعض علماء اللغة أن كلمة بلاسج مأخوذة من كلمة (بلاق) الألبانية ومعناها الشيخ سموا باسم حكهم أي مجلس الشيوخ حتى أن أهل

الجل منهم الآن يحكون مجلس الشيوخ فيما يختلفون فيه ويسنونه (بلاقونيا). ومن هنا يعلم إن هذا القوم العظيم انتشر قبل ألفي سنة من تربتنا في بلاد آخر إلى سيواس في الأناضول. أما من كان في الأناضول فقد استولى عليهم الفرس ثم اليونان ثم الرومان فاختلطوا بهم فضاخوا وانقرضوا. وأما من كان في مكدونيا وإيليريا فقد زاحهم البنغار والصقالبة حتى اجتمعوا كلهم واكثفوا بالقسم الجنوبي من إيليريا. وكان هؤلاء لا يختلطون بغيرهم من الأمم ولا يؤلفون جامعة لهم ولا يخطر ذلك في بالهم بل كانوا يعيشون متفرقين كما هو حال أهل الجبل منهم الآن في جوار دبره واشقودرة ولذلك حافظوا على لسانهم وعاداتهم وأخلاقهم. ولكن لم يحصلوا من الأدبيات القومية على شيء لفقدان الجامعة بينهم.

أتى عندهم زمن أسس فيه بعضهم دولة فكان منهم حكومة في اشقودرة وأخرى في يانية وثالثة في مكدونيا ومركز هذه بلدة (بلا) على نهر (قره آزمق) قرب بلدة (يكيجه واردار) من توابع سلاتيك ومن ملوكها إسكندر المشهور ابن فيليب وهو الباقي الأصل والنسب تعلم اليونانية لأدائها في ذلك الوقت فظنه الناس أنه يوناني وأكبر دليل على أنه ليس يوناني خطب ذلك الخطيب اليوناني الشهير (ديموستن) وتحريضه لأهل آتينة وتسميته له في تلك الخطب باسم (بارباروس) أي أعجمي وكانوا يسمون كل من لم يكن يونانياً (بارباروس) كما أن العرب تسمي كل من لم يكن عربياً (أعجمياً) ومن أشهر ملوك يانية (بيروس) فقد غلب الرومان مرتين واستولى على كثير من البلاد حتى توسع منك إلى اليونان ومصر ولم يكن همه إلا الظفر فقط ولذلك لم يترك لنيه الذين ورثوه إلا ما ورثه عن أبيه.

إن الألبان الذين استولوا على العالم بأسره في عهد اسكندر ابوا أن يكونوا في أسر الرومانيين ولقد كانت لهم وقائع عظيمة معهم دلت على شجاعتهم وبسالتهم إلى أن أتى (بول اميل ١٦٨ ق. م) بعسكر جرار فغلبهم وخرب لهم سبعين قصبة (قرية وأكبر منها) وأسر منهم مائة وخمسين ألفاً وساقهم إلى رومية وباعهم هناك عبداً.

أتظنون أنهم بعد هذا أطاعوا الرومانيين كلا فإفهم التجأوا إلى الجبال وتحصنوا فيها وتركوا الأراضي الخصبة وآثروا الفقر مع الحرية على الثروة مع الأسر.

وهكذا كانت حالهم لما دخل منوك بني عثمان إلى الروم ايبي وفي سنة ١٤٢٠ من الميلاد ظهر من بين رؤسائهم أمير يقال له اسكندر بك وكان رجلاً شجاعاً مدبراً فجسع القبائل كلها تحت رياسته وقاوم العساكر العثمانية أربعين سنة ولما هُزمت الدولة العثمانية على جميع تلك البلاد فمنهم من رأى الغربة فهاجر إلى قلابريا وصقلية ومنهم من ذهب إلى البندقية وجنوه ومرسينيا ومنهم من أداه السير إلى اسبانيا. ومنهم من اختار الإقامة وهداه الله فأسلم ثم انتشر الإسلام بينهم ولم يبق على دينه القديم إلا مقدار الثلث ومذهب النصف منه اورثوذكس والنصف الآخر كاثوليك. وقد ظهر منهم رجال نبغوا في هذه الدولة حتى أحرز الصدارة منهم عشون وزيراً ومن أشهر قوادهم في الجيش العثماني ستان باشا وآثاره تدل عليه وهو أول من أدخل اليمن وعمان في حوزة الدولة وأوصل عنهما إلى الأراضي الجيولة في ذلك الوقت مثل آجينة وصوماطره وكذلك الوزير المعروف بكوبريني محمد باشا فإنه وصل إلى أسوار فينا مظفراً. يمتاز الألباني بأنه طويل القامة غليظ العظام عصبي المزاج كبير الدماغ واسع الناصية (وهذا مما يدل على ذكائه). يرضى العهد ولو كان فيه الموت الأحمر. يفدي روحه في حفظ قبيلته وعائلته بل

لإنقاذ كنيسة خرجت من فيه. يتختر تبختر الأبطال في مشيته خفيف الحركة سريع الخطو. يغنب على نساتهم الجنال إلا أن غنيطات الأبدان غليهن ملامح الرجال. لا يبالين بالحجاب ولكن الرجال يغارون أشد الغيرة عنيهن فإذا أحسوا بأن فتاة أو امرأة خرجت ولو قليلاً عن دائرة العفة قولاً أو فعلاً فتكوا بها فتك ظالم غدار (لله درهم ودر العرب الذين لم تفسد أخلاقهم ودر هذه الغيرة التي نعدّها نحن المدنيون توحشاً) نساؤهم صناع اليد كثيرات الجد والكد، هن ربات البيوت والرجال عندهن كآهن ضيوف. لا يتزوجون إلا الأكفاء ولو بعدت المسافة بينهم. يحرمون بناتهم من الإرث (عادة ورثوها عن آباتهم) ولا يعطون شيئاً حتى إن ثياب العرس يشتريها الزوج. صلاتهم في دينهم شديدة إلا أنهم يتهاملون في العبادات ولهم بعض عادات انتقلت لهم من النصرانية أو من دين أجدادهم يحافظون عليها إلى الآن. يرون الاتفاق فيما بينهم فرحاً ولو اختلفت ديانتهم. فهذه ميزة الألبان باختصار.

وأما لسانهم فقد ذكرنا أنه شعبة مستقلة من النسان الآري لكنه لم يحذو حذو أخواته كاليونانية واللاتينية فيرقى إلى أوج الفصاحة والبلاغة إلا أنه أقدم منهما لما يرى من أسماء الآلهة في أساطير اليونان واللاتين فإنها منه أخذت.

وقد اكتشف الذين يتقبون عن الآثار القديمة في (طوسقانه) من أعمال إيطاليا خطوطاً قديمة لم يمكن حنّها بالنسان اللاتيني واكتشفوا في فريجيا أيضاً خطوطاً تشبهها فحربوا فيها النسان الألباني فوجدوها تشبه غاية المشابهة ومن هنا يظهر ان لهذا النسان خطوطاً تخص به. وعندهم بعض كتب تتعلق بمذهب الكاثوليك ألقت منذ خمسمائة سنة ولا أظنها مكتوبة إلا بالحرّوف اللاتينية وفيها المنظوم والمنثور.

ويحفظون بعض أغاني وطنية يرجع إنشاؤها إلى ثمانية أو تسعة أعصار. ولا فرق بينها وبين لسان أهل هذا العصر إلا في التعبيرات الدينية لأن النصارى اتخذوها من اليونانية والمسلمين اتخذوها من العربية وكلاهما ترك اصطلاحات الدين القديم.

وأما حروفهم التي يتنازعون لأجلها الآن فنستأظن أنها تلك الحروف المكتشفة في طومقانة وفي فريجيا على أنه لا يبعد أن تكون تلك إلا أنها أصنعت كالحروف العربية في بادئ الأمر وشكلها الآن. ولما زادت الجادلات بينهم وأخبرت الجرائد بذلك أحبت أن أرى هذه الحروف فأخذت كتاب ألف با وفيه دروس القراءة الألبانية. فوجدت كلمات هذا اللسان تتركب من أحد وثلاثين حرفاً وسبع حركات جعلوها (أي لهذه الشمانية والثلاثين) ستاً وثلاثين علامة أما الحركات فتلفظ همزة في أول الكلمات فقط ولذلك عدوها من الحروف. وأما الحروف فإنها تنقص عن العربية في أشياء وتزيد في أشياء. ينقص هذه اللغة من الحروف الخاء والصاد والضاد والطاء والعين وتزيد عن العربية بهذه الحروف:

١ — تس: حرف تمتاز فيه التاء بالسين فيحصل صوتاً مثل من قم ولد صغير أي بين (س) و (ج)

٢ — كما في التركية والفارسية.

٣ — دز: صوت يحصل من امتزاجهما ولا سبيل لفهمه إلا بعد سماعه.

٤ — ر: راء مفخمة جعلوها مستقلة عن الراء المرفقة.

٥ — كما في التركية والفارسية.

٦ — ك: حرف بين الغين والياء هو غين ولا هو ياء لكنه أقرب إلى الياء منه إلى الغين.

٧ — ل: لام مفخنة كالتى في لفظ الجلالة تقدمها فتح أو ضم.

٨ — ن: نون ساكنة بعدها ياء وهي أسيد شيء: الفرنساوية.
وأما العلامات فقد أخذوها من اللسان الفرنساوي عينا إلا أن الفرنساوية وضعوها لحرف (تس) ووضعوها لحرف ووضعوها لحرف (دز) وما زاد عن الفرنساوية فقد اتخذوا له علامات لا تخرج عن وضع العلامات الفرنساوية إلا بزيادة خط معوج في رأسه أو أمفله.

سلانك —

ر. ب

حكم الفرنجية

ما أحسن حال من يعتقدون أنفسهم باتسين وهم ليسوا إلا فارغين ملولين (الفرد دي موميه).

مزج البارئ تعالى الصداقة بالحياة لينشر في أطرافها السرور والسوى والمظرف (بنوتارك).

حيثما استطاع الإنسان أن يرزق فهناك يعيش عيشاً حسناً (مارك اوريل).

اعظم غنط يرتكب في التربية أن يجعل المرء في تلقينها (جان جاك روسو).

ليست معرفة الطاعة من الضعف بل هي قوة عظمى (جانيت).

التربية بوضع القواعد طويئة الأذيال وأقصر منها التربية بالمثال الحسن (مين).